



تأملات في الفرق :

## مدرسة الاحساس

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— لا نهري القطة بهذه القسوة . كوني صاحبة إحساس  
وكوني ذات رحمة

— أرحمة بلسة تسرق طعامي ؟

— ليس مكتوباً عليه بلغة تقرأها هي أنه طعامك ، وإنما  
هو عندها رزق يسره الله

— ولكنها كانت تدب إليه شفقة حريصة محاذرة متنبهة  
متلفتة يئمة ويسرة كاللص الذي يدرك حين يمتزم السرقة  
أنه يمتزم النكر

— هي معذورة فقد تملت هذا التلصص منا ؛ فهي لا ترانا  
نفترس ما نأكل وإنما ترانا نربي الحيوان والاطير ثم ندب إلى  
فريستنا منهما دبة اللص فنختلس حياته اختلاساً لا يسبقه صراع ،  
ولا يسبقه إنذار ... ولم يكن الفط هكذا إلا منذ استأنس ،  
وقبل ذلك كان يفترس ، أو يأكل مما يخلفه كبار السباع

— وهل في الفط ذكاه يدرك به هذا كله ؟ ...

— إن الأمر لا يحتاج إلى ذكاه ، وإنما هو يحتاج إلى  
إحساس . ألت تدخلين على جماعة من الناس فتعرفين إذا كانوا  
على حزن أو على فرح ، أو على صدق أو على غش ؟

— قد أعرف ذلك مما أرى في وجوههم من أثره ...

— ومن الناس من يعرف وهو مطرق إلى الأرض ، ومن  
الناس من يعرف وهو منغمض للبين والأذنين ، ومن الناس من  
يعرف وهو على البعد لا يتمكن من نظر ولا سمع

— بالاسلكي ؟

— نعم ؛ ففي قلب كل مؤمن جهاز يده ، ومن هذه  
الأجهزة طويل الموجة ، ومنها قصير الموجة ، ومنها ما هو  
متصل بتيار لا ينقطع ، ومنها ما يبعث (ببظاريات) تفرح وتغلا ،  
ومنها ما يستقبل القريب فقط ، ومنها ما يستشف المحطات  
البعيدة ... وهكذا ، فالكون كله إذاعات واستقبالات جلّت على  
ماركوني وإن سلت للأستاذ حسن كامل

— هذا للمعجوز الذي ظهر سكيراً في فيلم الذريعة ؟ إنه ممثل  
ممتلئ حقاً ولكني لم أكن أحسب أنه يعلم ما لا يعلمه ماركوني ...  
— ويعلم ما لم يكن يعلمه فرويد كذلك  
— ما شاء الله ! لعله اخترع آلتين تزوجان وتنجبان البنات  
من الآلات والديبيان !

— بل تمكن من إيجاد إنسان يعيش من غير غريزة فرويد  
فيستطيع أن يتحدث مع الطير والحيوان  
— على طريقة سيدنا سليمان ؟

— إذا لم تكن هناك إلا طريقة سليمان فهو إذن على طريقة  
سليمان . وهو إذن يعيش بين دجاجة وأرانبه وإوزة وكلابه ومعيزه  
ملكاً مدبراً حكماً لا يسيبه إلا أنه يأكل رعاياه  
— وكنت تريد ألا يأكل منها

— ربما كان هذا أحلى ؛ ولكن الذي يصنعه على أي حال  
حلال ؛ فلا ريب أنه للإنسان على ما هو دونه ومن في سماه حق  
الرعاية بالحكمة وله أن يتقاضاه روحاً وحياة  
— أنت تجعل الذي يبتنا وبين الحيوان عشرة أظن لها عندك  
قوانين وأصولاً

— الطبيعة فرضت هذه القوانين والأصول ، وقد كان  
إقدام شديدي الاعتراف بها ، ولا يزال الفلاحون يحترمون  
هذه القوانين والأصول فيما بينهم وبين ما يفهم من الطير  
والحيوان ، وإن كنا نحن في المدن قد أنكرنا هذه القوانين  
إنكاراً استدعى أن تقوم فينا جميعات للرفق بالحيوان تصيح  
في آذاننا تطلب له رحمة كان يجب علينا أن نحسبها من تلقاء أنفسنا  
لولا أننا قد تحجرت نفوسنا وتخشبت من شدة إقبالنا على عشرة  
الحديد والحجر والخشب ... فلم يمد أحد منا يمهط على حيوانه  
عطفه على ولده الذي في عنقه

وليستمع لهم أيضاً ، فإذا شاء أن يودع عقله بين أيديهم فليستن  
عن عقله وهو عندهم حتى إذا جاءنا استحضره ... هذه حال حدثت  
في أوروبا ، ولأنها حدثت في أوروبا فقد أحدثنا مثلها قولاً في كلية  
الآداب عندنا وقلنا إن العلم شيء وإن الدين شيء ، مع أن ديننا  
هو العلم نفسه ، وهو العقل نفسه ، ولم يحدث أن احتضن يوماً  
خرافة ، أو أظل باطلاً ... وإن كان بعض أصحاب الغرض قد رشقوا  
في حواشيه بعض ما يتنافيه ، مما هو ظاهر للمعين زيفه وخرابته  
عن سلامة الفطرة وحكمة الحق ... وقال الغرب يوماً إننا لن نؤمن  
بشيء حتى نبدأ بالشك فيه ونعقله بعد ذلك إلى نهايته حتى نصل  
إلى حقيقة أمره ، فزاهنا فتؤمن عندئذ بها ، ولم يقل للغرب هذا  
إلا من نقل ما كان يراد به أن يحشره في إيمانه من أوهام ،  
وأكاذيب ... فقلنا نحن أيضاً مثلما قال الغرب: لن نؤمن بشيء  
حتى نشك فيه أولاً وبدأنا نشك في أعلى تراننا حتى لقد شكنا  
في قصة إبراهيم يوماً

— وهل أثبت للتاريخ قصة إبراهيم ؟ للملم لا يرضى

إلا بالإثبات العلمي ، وللاثبات العلمي شروط

— وهل أثبت التاريخ أن الأرض كانت جزءاً من الشمس

إثباتاً علمياً بالشروط إياها ؟ وهل يستطيع التاريخ أن يثبت كل  
حقائق الوجود ؟ إذا كان الأمر كذلك فقولى لى كيف يثبت  
التاريخ أن هانيبال كان يتنفس مثلما تنفس نحن مع أن هذا شيء

لم يرد في وثيقة تاريخية واحدة مستوفاة لشروط التحقق والتحقيق  
التي تطليبنها بل إنه لم يرد في وثيقة أصلاً أفتستطيعين أن تشكى  
في أن هانيبال وأباه كانا يتنفسان لأنه لا وثائق تثبت ذلك ؟ فإذا  
ضاعت منك شهادة ميلادك ظننت أنك ربما تكونين قد انعدمت  
لأنه لا ورقة رسمية منك تترف بك ؟ حتى لو حلف الناس  
بوجودك وشهد أهل بلدك بنسبك ؟

فتذوق العلم ... وتذوق الأدب ... وتذوق للفن ...

وتذوق الحياة ... عيشى على مهل ، تفرسى في كل شيء ... أيقظى  
إحساسك ، ولا تقفزى بعقلك إلا بعد أن يرتاح إحساسك إلى  
ما أنت فيه ... فلو فعلت أنت هذا ، ولو فعله الناس جميعاً ، ولو فعله  
أهل الغرب على الخصوص ، خلقت كوارث البشرية ولها من  
مصائبها الكثير ... أفلو تريت أولئك الذين يخترعون الغازات  
السامة والقنابل والبللوى الزرق الفتاك بالناس ، وحاسبوا عقولهم  
بضائرهم واستشعروا ما يجره اختراعاتهم على إخوانهم من ويلات ...

— هذا الذى نطلبه كثير ، وهو ليس من الطبيعة فى شيء

— لو لم يكن من الطبيعة لتدح إبراهيم ولده

فلو أنك كنت تشرى بالحياة حولك ، لكنت تبادل الحس  
مع الحيوان ... ولكنت أدركت الحق فيما أقول ... ولكن  
كيف أطلب منك الإحساس بالحيوان وأنت منصرفه حتى عن  
الإحساس بالناس ، وحتى عن الإحساس بنفسك ...

— حتى نفسى ترمينى بأغفالي والبعد عنها ؟ ...

— ولست وحدك هكذا ، وإنما أغلب أهل هذا العصر هكذا  
وأكثرهم تردياً فيه أهل المدن ، وأكثر أهل المدن تردياً فيه  
وانطباعاً أولئك الذين يعملون فى المدارس ، وأكثر المسلمين  
تخبطاً فيه وانتماساً أبناء معاهد الفن فى مصر ، فهؤلاء يستمرضون  
صوراً مختلفة للحس ، ولكنهم لا يقفون عند واحدة منها وقفة  
التأمل والتذوق ، وإنما هم يحصونها عدداً ويحسبون هذا الإحصاء  
علماً ، فيخرجون به إلى الدنيا ونفوسهم مشوشة مختلطة حائرة ...  
ومع هذا كله ، فضرورة متكبرة ...

— وهذا فى مصر وحدها أو فى العالم كله ؟

— أظنه فى مصر وحدها ... فهم فى الغرب إذا كفروا

لم يكفروا حتى يؤمنوا بكفرهم ، ونحن هنا نفتظر حتى يكفروا  
فنجرى وراءهم ، فإذا آمنوا آمننا ، فإذا كفروا كفرونا ونفوسنا  
فارغة لا بصرها إيمان ولا كفر ...

— وهل يعمر الكفر للنفس ؟ ...

— إذا كان كفراً خالصاً لوجه الحق كذلك الكفر الذى

شاع فى أوروبا فى القرن الماضى وفى سوابقه ، إذ تفتحت عيون  
عشاق الحق هناك على أباطيل رأوا أهل الدين يستمسكون بها ،  
فقالوا لهم تمالوا ندع هذه الأباطيل ونحمر أنفسنا ونفكر بمقولنا ،  
فقال لهم أهل الدين: ليست لنا عقول إذا ردتنا للمقول عما وجدنا  
عليه آباءنا ، وإنه لدين آمننا به ولن نحول عنه ، فقالوا لأهل ذلك  
الدين: فليكن إذن لكم دينكم وليكن لنا ديننا ، ثم قالوا للناس  
جيماً: إنما نحن نسبى إلى الحق بعلومنا وعقولنا ، وليس لنا شأن  
بأخصامنا ، ولنا ندعو الناس إلى جنة أو نار ، فالجنة والنار  
حديثهم ، وإنما نحن نقول إن عباد الشمس الأزرق يحمر إذا  
أضيف إلى حمض ، كما نقول إن الهيدروجين أخف من الأكسجين  
وثانى أكسيد الكربون ، وإن الأرض مجذوبة إلى الشمس ،  
وإن الشمس تسبح فى الفضاء وإن وإن ... وليستمع لنا من يريد